وقال هذا حظ الشيطان منك ثم غسله وملأه حكمة وايمانا كما تظاهرت به
اخبار المبداء ولا يشتبه عليك بقول ابرهيم عليه السلام في الكوكب والقمر والشمس هذا
ربي فانه قد قيل كان هذا في سن الطفولية وابتداء النظر والاستدلال وقبل لزوم
التكليف وذهب معظم الحذاق من العلماء والمفسرين الى انه انما قال ذلك مبكتا لقومه
ومستدلا عليهم وقيل معناه الاستفهام الوارد مورد الانكار والمراد فهذا ربي قال
الزجاج قوله هذا ربي اي على قولكم كما قال اين شركائي اي عندكم ويدل على انه لم يعبد شيئا
من ذلك ولا اشرك قط بالله طرفة عين قول الله تعالى عنه اذ قال لابيه وقومه ما تعبدون
ثم قال افرايتم ما كنتم تعبدون انتم واباؤكم الاقدمون فانهم عدو لي الا رب العالمين
وقال تعالى اذ جاء ربه بقلب سليم اي من الشرك وقوله واجنبني وبني ان نعبد الاصنام
فان قلت فما معنى قوله لئن لم يهدني ربي لاكونن من القوم الضالين قيل انه ان لم يؤيدني
بمعونته اكن مثلكم في ضلالتكم وعبادتكم على معنى الاشفاق والحذر والا فهو صلى
الله عليه وسلم معصوم في الازل من الضلال فان قلت فما معنى قوله تعالى وقال الذين
كفروا لرسلهم لنخرجنكم من ارضنا او لتعودن في ملتنا ثم قال بعد عن الرسل قد افترينا
على الله كذبا ان عدنا في ملتكم بعد اذ نجانا الله منها فلا تشكل عليك لفظة العود وانها
تقتضي انهم انما يعودون الى ما كانوا فيه من ملتهم فقد تاتي هذه اللفظة في كلام العرب
لغير ما ليس له ابتداء بمعنى الصيرورة كما جاء في حديث الجهنميين عادوا حمما ولم يكونوا قبل
كذلك ومثله قول الشاعر ۝ تلك المكارم لا قعبان من لبن ۝ شيبا بماء فعادا بعد ابوالا ۝
وما كانا قبل كذلك فان قلت فما معنى قوله ووجدك ضالا فهدى فليس هو من الضلال الذي
هو الكفر قيل ضالا عن النبوة فهداك اليها قاله الطبري وقيل ووجدك بين اهل الضلال
فعصمك من ذلك وهداك للايمان والى ارشادهم ونحوه عن السدي وغير واحد وقيل
ضالا عن شريعتك اي لا تعرفها فهداك اليها والضلال هاهنا التحير ولهذا كان عليه

الصلوة والسلام يخلو بغار حراء في طلب ما يتوجه به الى ربه ويتشرع به حتى هداه الله
الى الاسلام حكى معناه القشيري وقيل لا تعرف الحق فهداك اليه وهذا مثل قوله وعلمك
ما لم تكن تعلم قاله علي بن عيسى وقال ابن عباس رضي الله عنهما لم تكن له ضلالة معصية وقيل
هدى اي بين امرك بالبراهين وقيل ووجدك ضالا بين مكة والمدينة فهداك الى المدينة
وقيل المعنى ووجدك فهدى بك ضالا وعن جعفر بن محمد رضي الله عنه ووجدك ضالا
عن محبتي لك في الازل اي لا تعرفها فمننت عليك بمعرفتي وقرأ الحسن بن علي رضي الله عنه
ووجدك ضال فهدى اي اهتدى بك وقال ابن عطاء ووجدك ضالا اي محبا لمعرفتي
والضال المحب كما قال انك لفي ضلالك القديم اي محبتك القديمة ولم يريدوا هاهنا في الدين
اذ لو قالوا ذلك في نبي الله لكفروا ومثله عند هذا قوله انا لنراها في ضلال مبين اي محبة
بينة وقال الجنيد ووجدك متحيرا في بيان ما انزل اليك فهداك لبيانه لقوله تعالى وانزلنا
اليك الذكر الاية وقيل ووجدك لم يعرفك احد بالنبوة حتى اظهرك الله فهدى بك
السعداء ولا اعلم احدا قال من المفسرين فيها ضالا عن الايمان وكذلك في قصة موسى عليه
السلام قوله فعلتها اذا وانا من الضالين اي من المخطئين الفاعلين شيئا بغير قصد قاله ابن
عرفة وقال الازهري معناه من الناسين وقد قيل ذلك في قوله ووجدك ضالا فهدى
اي ناسيا كما قال تعالى ان تضل احديهما فان قلت فما معنى قوله ما كنت تدري ما الكتاب
ولا الايمان فالجواب ان السمرقندي قال معناه ما كنت تدري قبل الوحي ان تقرأ القرآن
ولا كيف تدعو الخلق الى الايمان وقال بكر القاضي نحوه قال ولا الايمان الذي هو الفرائض والاحكام
قال فكان النبي صلى الله عليه وسلم قبل مؤمنا بتوحيده ثم نزلت الفرائض التي لم يكن يدريها
قبل فازداد بالتكليف ايمانا وهو احسن وجوهه فان قلت فما معنى قوله تعالى وان كنت من قبله
لمن الغافلين فاعلم انه ليس بمعنى قوله تعالى والذين هم عن اياتنا غافلون بل حكى ابو عبيد الهروي
ان معناه لمن الغافلين عن قصة يوسف عليه السلام اذ لم تعلمها الا بوحينا وكذلك الحديث

Copyright @ King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)